10me Année No. 485

Lundi - 19 - 10 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٨٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٩ شوال سنة ١٣٦١ — الموافق ١٩ أكتوبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

صفحة		
٩٧٣	أفعالهم من أمثالهم	الأستاذ عباس محمود العقاد
٩٧٦	مشاركة الأدب الانجليزي فى الدراسات العربية	الأستاذ عبد الوهاب الأمين
٩٧٨	راقصة .. ... [قصيدة]	الأستاذ على محمود طه . .
٩٧٩	دنية القاضى فى العصر العباسى	الأستاذ ميخائيل عواد ...
٩٨٢	إلى المعترضين علينا	الأب أنستاس مارى الكرملى
٩٨٥	المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم...	المستشرق « إدورد وليم لين » بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
٩٨٨	قصيدة مصر الجديدة [قصيدة]	الدكتور زكى مبارك ... ...
٩٩١	حول نسب الفاطميين ...	... ...
٩٩١	كرملة الكرملى	الأستاذ محمد مندور . .
٩٩٢	القضاء العشائرى فى العراق	....

أفعالهم من أمثالهم

للأستاذ عباس محمود العقاد

من مؤلف الأمثال ؟

تلك الآيات القصار من موجز البلاغة من صائغها ومنتقى ألفاظها ومودع الحكمة فى خلالها ؟

إنها أسلوب غير أسلوب الفرد فى كلامه ، ولكن الأمم لا تجتمع للتأليف والصياغة فيقال إنها من تأليف أمة فى أجيالها المتعاقبة . وهى بلا ريب لم تؤلف نفسها ولم تكن قولاً بغير قائل . فأصدق ما يقال فيها أنها كلام فرد صقلته الأمم جيلاً بعد جيل ، وأنها وحى الإنسانية أجرته على بعض الألسنة وتعهدته بعد ذلك بالتنقيح والمراجعة . فليست هى لغة فرد ولا صياغة أمة ، ولكنها مساهمة من كل بما يستطيع فيها . فالفرد يستطيع أن يصوغ الكلام ، والأمة تستطيع أن تقبل وترفض حتى يستقيم لها القول على ما تحب ، ومن هذا وذاك تتجمع الأمثال

وقد اتفق فى أمثال الأمم أمران عجيبان كأنهما متناقضان لا يتفقان

فأمثال الشعوب تتشابه فى مغزاها ، وتتوارد فى محصولها ومؤداها ، حتى يصح أن يقال فى هذه الناحية إن الأمثال إنسانية عالمية يتفق فيها جميع الناس .

لكن أمثال الشعوب مع هذا قومية وطنية تدل على أهلها وتم على خلائق ملة بعينها ؛ فلا تقرأ أمثال العرب دون أن تعرف منها شيئاً عن العرب لا تعرفك مثله عن الفرس أو الترك أو الروم ، ولا تقرأ نخبة من أمثال الأوربيين إلا فرقت بينها وبين نخبة من أمثال الأسيويين أو الأمريكيين . فهي تكشف لنا الإنسانية لأن الأمم كلها من بنى الإنسان ، وتكشف لنا كل أمة على حدة لأن الناس يختلفون كما يتفقون ، ولا تناقض بين الأمرين

ظهر فى العهد الأخير كتاب انجليزى عن الأمثال الروسية من أوفى ما كتب عن هذه الأمثال . فأوجز ما يوصف به أنه يلقى لك ضياء على كل حادث عظيم فى تاريخ هذه الأمة ماضيها وحاضرها ، منذ جلت عن سهوب آسيا إلى أن وقفت فى حربها مع الألمان موقفها المجيد الذى قلت نظائره فى تواريخ الحروب !

تقرأ هذه الأمثال فتوقن أن الروس والجرمان لا يعيشون فى السلم والوئام إلى زمن طويل . وأول هذه الأمثال قولهم : إن « ما ينفع الروسى هلكة للألمانى » ... ومصداق ذلك في الحرب الحاضرة غير بعيد

ومن تلك الأمثال ، وفيها الدلالة على الحرب التى يحسنها الروسيون ، أن البحر جميل من الشاطئ ، وأن البعيد عن البحر بعيد عن الأحزان ، وأن الموت أخ للجندى الروسى ، وأن امرأة هـذا الجندى ليست بزوج ولا بأيم ، وأنه « ما كل رصاصة تصيب عظمة فى الجسد ؛ فقد تصيب الرصاصة الفراغ ! »

وقلما دخل الروس حرباً إلا تركوا بعـدها أمثالاً تنبئنا ببعض أنبائها . فمن بقايا حرب نابليون مثلهم القائل : « ما أسعد الفرنسى بغراب ! » لأن جنود نابليون كانوا يتصيدون الغربان التى تأكل قتلاهم فيطبخونها وهم هلكى من الجوع !

ومن بقايا حروبهم مع الترك ذلك المثل الذى يفيض بالسخرية والشهادة لشجاعة الخصمين : « يتساقط الترك ، ولكننا والحمد لله صامدون فى الميدان ... بغير رءوس ! »

ولعلنا لا نعرف جهاد الروس فى طلب الحرية من بضع كلمات كما نعرفه من الكلمات القليلة التى يجمعونها فى قولهم : « تبحث عن شجاع ... إذهب إلى السجن ! »

فقد مضى على الروس حقاً ذلك الزمن الذى كانت فيه السجون أجدر الأمكنة أن تبحث فيها عن الرجل الشجاع ، وذلك زمن الثورات ، أو زمن الجهاد فى طلب الحرية ، أو زمن التمرد على السلطان الذى لا خير فيه

ويذكر القراء أن قياصرة الروس كانوا من أكبر الدعاة إلى السلم فى عهدهم الأخير ، وأن حكيم الروس الكبير ـ تولستوى ـ كان أكبر دعاة السلام فى أوائل القرن العشرين . ولكن الروس وحدهم هم الشعب الذى سجل خيبة الأمل فى السلم كما تمناه منهم الرؤساء والمصلحون ، فقالوا فى أمثالهم : « إن السلم الدائم ليدوم ... ولكن إلى أول حرب مقبلة ... »

وهكذا أوحت الحكمة إلى ألسنة الدهماء ، ما لم توحه إلى الساسة ولا إلى الحكماء

* * *

وكل خلائق الروس ظاهرة فى أمثالهم الشعبية ، وليست خلائقهم فى حروبهم وثوراتهم وكفى ؛ فهم معروفون بالتواكل والاستسلام للقـدر فيما ينوبهم من عثرات الجدود ، وذلك ظاهر فى قولهم : « إذا طرق بابك الجد العاثر فافتحه له على مصراعيه » ... يريدون أن الجد غالب على أمره ؛ فكل حذر فى اتقائه لا يفيد

وهم معروفون بالمداورة بين القادرين المسيطرين عليهم ، وذلك ظاهر فى قولهم : « صل لله ولكن لا تهيج الشيطان ! »

وهم معروفون بالحذر الدائم ، وهو ظاهر فى قولهم : « للخوف عيون واسعة » وقولهم : « من الحياة نخاف لا من الموت ! »

وهم يتباطأون عن الجد كما يظهر من مثل الفلاح القائل : إلى الغيط ... ما آلم هذا المغص فى الأحشاء ! إلى الحان ... هاتى المعطف يا امرأة ، وعجلى ! »

وتواكلهم مع معيشتهم فى البيوت تظهر من أمثلة كثيرة فى معارض شتى ، منها : « إذا أقدمت على الزواج فلا تطيلى همك ... ستعلمين متى يحين الموعد المقدور للبكاء ساعة يضرب زوجك ! »

ومنها : « تزوج كبراهن وانظر إلى أمها وأبيها ، أما الصغرى فلا تتزوج بها إلا وقد نظرت إلى أختها الكبرى »

ومنها : « زوجى سيئ أخافه ، ولكنى أكون معه فلا أخاف من أحد غيره ! »

ومنها : « سأحفظ حكايات الخرافة متى رزقت الأحفاد »

وبسبيل من هذا وإن ظهرت فيه مناقضة للتواكل قولهم : « حسبما تهيئ فراشك يكون رقادك ! »

وقولهم : « عش كما يتاح لك ، ومت كما تتمنى ! » أو قولهم : « من لم يكن صحيحاً فى العشرين ، عاقلاً فى الثلاثين ، غنياً فى الأربعين ، فلا أمل له فى الصحة والعقل والغنى ، حتى يموت »

* * *

ويقولون وفيه دليل على سوء الظن بالدنيا : « نرفع عقائرنا بالغناء فيسمعنا الناس ، ونرفع عقائرنا بالعويل فليس للناس آذان »

ويقولون : « إن كان لا بد من غرق فالبحر اللجى خير من البركة الآسنة » وفيه مشابهة لقول المتنبي :

إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم

ويقولون وفيه صدق الغرض وإن لم يكن فيه صدق التاريخ : « موسكو أحرقتها شمعة بدرهم »

فشمعة بدرهم قد تحرق موسكو حقاً ، وإن لم تكن أحرقتها فى حرب نابليون

ومن أبرع أمثالهم قولهم : « يولد الإنسان ليموت ، ولكنه يموت ليحيا »

ومنها فى فضل الوقاية : « يخاف الهواء الأصفر ممن يخافه »

ومنها فى المساواة والفوارق بين الناس : « عيوننا تملأها شمس واحدة ، وبطوننا لا يملأها طعام واحد » ومنها : « من سكن بجوار المقابر لم يحزن على كل فقيد » ومنها : « راقب الجدى من أمام ، وراقب الحصان من وراء ، وراقب الشرير من كل جانب » ومنها فى رشوة الحكام : « من باب الطريق سدّ ومن باب السر ترحيب »

* * *

وعلى الجملة يندر أن نعرف الروس من كتاب واحد كما نعرفهم من هذا الكتاب الذى جمع لنا المئات من أمثالهم المنتقاة

ونعتقد أن هذا هو شأن الأمثال فى كل أمة وفى كل طبقة وفى كل جيل ، وربما أغنتنا ثلاثة أمثال أو أربعة عن قراءة سفر مطول فى أخلاق بعض الأمم خلال فترة من الفترات

فأى كتاب يدلنا على أخلاق المصريين فى القرن الماضى كما يدلنا عليها مثلهم القائل : «أردب ما هو لك لا تحضر كيلة ، تتعفر دقنك وتتعب فى شيله » أو مثلهم القائل : « اللى يجوز أحى أقول له يا عمى » أو مثلهم القائل : « إن عبدوا تور حش وارمى له » وما شابه هذه الأمثال

فثلاثة أمثال من هذا القبيل تلخص لنا تاريخ الاستبداد فى ذلك القرن وما أحدثه فى مصر من التفكك واجتناب التعاون ومداراة الظلم والإذعان لكل آمر والعجز عن كل مقاومة

ومئات منتقاة من هذه الأمثال فى شتى المعارض تجمع لنا من الأخلاق القومية والدلائل التاريخية ما يتفرق فى كتب مختلفات تتكلم عن الأخلاق ولكنها لا تعرض لنا تلك الأخلاق عرضاً مجسما كما تعرضها الأمثال.

ولا يفوتنا هنا أن نلاحظ قلة التمثل بالأمثال فى هذه الأيام سواء بين المصريين أو بين الأمم الأخرى

فأبناء العصر الحاضر لا يحفظون أمثال أمتهم ولا يكررون ما يحفظونه منها ، وليس هذا بعجيب إذا نظرنا إلى الخلق الغالب بين أكثر المحدثين

فقل فى أبناء عصرنا من يقتدى بالسلف أو يحب أن يقال عنه أنه ممن يقتدى بهم فى المعيشة والسلوك . ولا معنى لسرد الأمثال ما لم يكن ديدن السلف حجة مقبولة بين القائلين والسامعين

إنما الخلق الغالب فى عصرنا أن يباهى الرجل فى يومه بمخالفة أمسه ، وأن يجرى فى كل حين على بدعة لم يسبقه فيها سابق قبل حينه ، وأن يتهالك على الجديد ولو لم تكن له مزية غير الجدة العابرة . وهذه حالة من الحالات النفسية لا توائمها متابعة الأمثال ، أو تحريها فى الأقوال والأعمال ؛ بل هى تستدعى كلاماً يناقض المثل فى لبابه ومرماه ، وهو الارتجال المقتضب الذى لا يتعدى ساعته إلى ما وراءها ، ولا يصلح للتكرار والاستشهاد

ولهذا تسنح الفرصة اليوم للحرص على ذخائر الأمثال ، والاستزادة من مجموعاتها التى يخاف عليها النسيان والإهمال ؛ فإنها لموصولة يوماً لا محالة ، وإن طال عهد الانقطاع والارتجال .

عباس محمود العقاد